

## سورة الكهف

### تتمه الدرس الثالث .. الايه 54...60

(54) ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾

تنويع الأمثال والأساليب في القرآن لإقامة الحجة وقطع العذر: ... كثرة البيان ليست لنقص في الدلالة، بل لرفع الأعدار؛ فبعد هذا التصريف لا يبقى للإنسان حجة.

ثم يبين الله طبيعة غالبية في الإنسان: كثرة الجدل، لا بقصد طلب الحق، بل هروباً من لوازمه بعد وضوحه. فالجدل المذموم هو ما يُستعمل لدفع الأمر أو تأخير الطاعة، لا للوصول إلى الهدى.

وقد جسّد محمد ﷺ هذا المعنى عملياً حين أيقظ علياً وفاطمة رضي الله عنهما للصلاة، فاحتج عليٌّ بالقدر، وهو قولٌ صحيح في ذاته، لكنه قبل في مقام يُطلب فيه الامتثال، فسمّاه النبي ﷺ **جدلاً** وقرأ الآية؛ تعليماً أن الاحتجاج بالقدر ليس عذراً في ترك العمل.

الخلاصة:..الحق إذا تبيّن، فموضعه التسليم والعمل، لا الجدل والتعليل؛ والإعراض بعد البيان اختيار لا جهل

(55) ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا﴾

المانع الحقيقي هو المكابرة وطلب الآيات التعجيزية، لا غياب الدليل:.....تعلق الإيمان على نزول الهلاك أو معاناة العذاب قسوة قلب وفساد فطرة؛ إذ يؤخّر الإيمان حتى يفوت أوانه.

وتأتي هذه الآية عقب قوله تعالى: **(وكان الإنسان أكثر شيء جدلاً)** لتجسد أثر الجدل عملياً؛ فالمشكلة لم تكن نقص بيان ولا غموض رسالة، بل اعتراض ومراء وتأجيل. هكذا يتحوّل الجدل إلى سبب مباشر في تأخير الإيمان وردّ الحق، حتى يُفاجأ المؤمنون بالحساب.

﴿أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا﴾ أي: عذاباً يأتيهم مواجهةً وعياناً يرونه رأي العين، أو أنواعاً متعدّدة وألواناً مختلفة من البلاء والهلاك، بعد قيام الحجة ووضوح الحق، فيكون تهديداً لمن يؤخّر الإيمان حتى لحظة العذاب.

(56) ﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنذِرُوا هُزُوًا﴾

يبين الله أن مهمة الرسل محددة وواضحة: تبشير وإنذار، لا إكراه ولا جدال عقيم. لكن الكافرين قابلوا هذا البيان بالجدل بالباطل، لا طلباً للحق، بل لإزهاقه، ثم زادوا على ذلك بالاستهزاء بالآيات والإنذارات، فصار الرفض موقفاً متعمداً لا شبهة عارضة.

(57) ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاؤُنَا عَلَيَّ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا﴾

يقرر القرآن نزوة الظلم: أن يُذكّر الإنسان بآيات الله ثم يُعرض عنها عمداً، وينسى ما قدّم من عمل. فكان جزاء هذا الإعراض المتراكم أن يُعلق القلب عن الفقه، وتثقل الأذن عن السماع؛ لا ظلماً من الله، بل جزاءً وفاقاً على الإعراض المتكرر، حتى لا يعود الهدى مؤثراً فيه.

(58) ﴿وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَلْتُمْ لَهُمُ الْعَذَابَ بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْئِلًا﴾

ومع ذلك، يختم السياق بفتح باب الرجاء: فالله غفور رحيم، لا يعاجل بالعقوبة رغم الاستحقاق، بل يُمهّل ويؤخر، غير أن هذا الإمهال ليس إغناءً للحساب؛ فلهم موعدٌ محتوم، لا ملجأ ولا مهرب منه إذا جاء.

(59) ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ لِمَا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا﴾

الهلاك لا يقع ابتداءً، بل بعد الإصرار على الظلم وردّ الحق... التاريخ ليس سرّاً، بل شاهدٌ على عدل الله؛ الإمهال سنّة، والهلاك موعد.

### الخلاصة (45-59)

هذا المقطع يعيد ضبط الميزان الكلي: الدنيا زائلة، والآخرة قادمة، والحق واضح، والمرجعية واحدة. وبهذا التمهيد ينتقل القرآن إلى فتنة العلم وحدود العقل في قصة موسى والخضر.

## مقدمه الدرس الرابع والخامس

- ◊ نزلت سورة الكهف في سياق أسئلة مقصودٌ بها اختبار النبوة، وكان تأخر الوحي خمسة عشر يوماً تربيةً ومنهجاً؛ لتقرير أصلٍ عظيم: النبي ﷺ مبلّغٌ للوحي، لا يعلم الغيب، وإنما الحق يُؤخذ من الله وحده: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾.
- ◊ افتتحت السورة بتثبيت المرجعية: كلام الله هو الحق المطلق، منهجٌ قويم لا عوج فيه، لا يُقاس بالأراء ولا بالأهواء.
- ◊ جاءت قصة أصحاب الكهف لتجسد فتنة الدين والثبات، ثم أعقبها مباشرة منهج النجاة: الوحي والصحة الصالحة، ﴿وَإِنَّا لَأَوْحِي إِلَيْكَ﴾ و﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ﴾.
- ◊ ثم ضرب مثل فتنة الدنيا في صاحب الجنّتين، حيث تُخرج “الأنا” الإنسان من دائرة العبودية، وكان علاجها ردّ النعمة إلى المنعم: ﴿مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾.
- ◊ وبعد فتنة الدين والدنيا، جاءت قصة موسى عليه السلام مع العبد الصالح لتكشف فتنة العلم، وتقرر أن العلم محدود، وأن فوق كل ذي علمٍ عليم.
- ◊ وكما ظنّ أهل الكتاب أن النبي ﷺ ينبغي أن يعلم الغيب، جاء التطبيق العملي في قصة موسى: حتى نبيٌّ كريم يُعلّم أنه لا يعلم كل شيء، وأن الغيب لله وحده.
- ◊ والأهم: أن منهج النجاة واحد في القصتين؛ فأهل الكهف نجوا بالوحي والصبر، وموسى نجا من فتنة العلم بالوحي والصحة الصالحة والتواضع في الطلب.
- ◊ وهكذا تتكامل السورة: فتنة الدين، ثم الدنيا، ثم العلم، لتعلّمنا أن النجاة في زمن الفتن تكون بالرجوع إلى الوحي، وحسن الأدب مع الله، ومع العلم، ومع الطريق.

## الدرس الرابع والخامس

### تفسير الايات 60-110

يُقَدَّر عمر نبيِّ الله موسى عليه السلام عند وفاته بنحو 120 سنة على وجه التقريب، ويُتَوَقَّع أن قصته مع العبد الصالح كانت في أواخر حياته، دون نصِّ قطعيٍّ يحدِّد ذلك. بعد استقرار شريعته في بني إسرائيل، دون أن يرد نصٌّ يحدِّد عمره تحديداً، وإنما دلَّ السياق على كمال مقامه العلمي والنبوي حينئذ.

قبل الدخول في تفاصيل قصة موسى عليه السلام مع العبد الصالح، لا بد من التنبيه إلى أن بعض المحدثين بالغوا في تأويل هذه القصة على أنها "تفسير للقدر"، وهذا غير دقيق؛ فالقرآن لا يفتح لنا أبواب الغيب لتحيط بالقضاء والقدر بعقولنا، وإنما يربِّي قلوبنا على أدب التعامل معه.

فالقصة لا تشرح القدر، بل تُعلِّمنا كيف نقف بين يديه إيماناً وتسليماً، وتكشف الفرق بين عالم الملك الذي نراه ونحكم عليه بظواهره، وعالم الملكوت الذي يدبِّره الله بحكمةٍ خفيةٍ لا تُدرك بالحسِّ ولا بالعقل المجرد.

ويتجلَّى فيها الفرق بين ما يراه الإنسان ويريده بحسب الظاهر والعاجل، وبين ما يراه الله ويريده بعلمٍ محيطٍ وعاقبةٍ لا نراها، ولا نُحسن تقديرها.

وثريننا القصة على آداب طلب العلم: الحرص، والصبر، والتواضع، وتقرير أن علم الإنسان - مهما بلغ - محدود، وأن العقل لا يستطيع الإحاطة بحقائق القضاء والقدر إذا اعتمد على المشاهدة وحدها. ومن أعظم ما تُقرِّره القصة أن يبلغ الإنسان مرحلة الفهم بأن عدم الإدراك في بعض المواضع هو عين الحكمة، وأن التسليم ليس عجزاً، بل عبوديةً راشدة.

فجاءت الأمثلة الثلاثة (السفينة، الغلام، الجدار) ل تُظهر كيف يكون مراد الله، وكيف يخطئ الناس في الحكم على أفعال الله إذا قاسوها بميزان الظاهر وحده.

وهكذا لا تعلِّمنا القصة تفسير القضاء والقدر، بل تعلِّمنا أدب الوقوف بين يدي القدر، والتسليم بأننا لن نفهمه على حقيقته، ولا نُحيط به علماً، ولا يحقُّ لنا طلب كشفه؛ لأن الغيب غيبُ الله، والعبد مُطالب بالإيمان والرضا، لا بالإحاطة والتعليل.

ويكتمل هذا المعنى بتأمّل دقيق في التعبير القرآني:

﴿لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا﴾

فلم يقل علينا، بل لنا؛ إشارةً إلى أن ما يقدره الله على عبده، وإن بدا مؤلماً، فهو في حقيقته خيرٌ مدَّخر، أو رحمةٌ مستورة، أو دفعٌ لشرٍّ أعظم.

ومن هذا الميزان نفهم قوله تعالى: ﴿لِكَيْلًا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾

فلا حزنًا يُكسِر القلب على ما فات، ولا فرحًا يُطغي النفس بما أُوتيت؛ لأن الجميع داخلٌ في قدر الله، ماضٍ بحكمته، جارٍ بعلمه.

وهكذا تُربِّينا قصة موسى والخضر على سلام القلب مع القدر: طمأنينةً بلا غفلة، ورضًا بلا تواكل، وإيمانًا يُسكِّن القلق حين لا نفهم... لأننا سلّمنا ابتداءً بأن التدبير لله، لا لنا.

### وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰ... الآية 60-83

1. **مقام موسى والعلم الظاهر** : كان موسى عليه السلام نبيًّا معلّمًا لبني إسرائيل، مرجعهم في الأحكام والأسئلة، آتاه الله النبوة والعلم، فكانوا يرجعون إليه فيما أشكل عليهم. وفي أحد المجالس سُئل: من أعلم أهل الأرض؟ فأجاب بما يعلم دون فخر: أنا، ولم يكن في ذلك كبر ولا تعالٍ، إذ لم يُؤمر حينها بردّ الجواب إلى غيره.

2. **التعليم الإلهي وحدود العلم**: أراد الله أن يعلم موسى، ويعلم الأمة من بعده، أن العلم البشري مهما بلغ له حدود، وأن فوق كل ذي علمٍ عليم. فأوحى الله إليه أن في الأرض عبدًا آتاه علمًا ليس عند موسى؛ **علم المآلات والعواقب**، وأخبره أن موضع اللقاء سيكون عند مجمع البحرين، بعلامةٍ ظاهرة.

3. **عزم الطالب وأدب الرحلة**: لم يتردد موسى، بل خرج بعزم طالبٍ للعلم، وقال لفتاه يوشع بن نون: ﴿لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين أو أمضي حقبًا﴾، إعلانًا أن طريق المعرفة لا يوقفه زمن ولا تعب. وكانت الرحلة رحلة تربية قبل أن تكون رحلة تعلم؛ تهيئةً للنفس على التواضع والصبر.

4. **العلامة وبداية اللقاء**: عند مجمع البحرين نسيًا الحوت، فاتخذ سبيله في البحر عجبًا. ولما جاوزا الموضع وشعر موسى بالتعب، تذكر الفتى العلامة، فعرف موسى أن هذا هو الموضع المقصود، فرجعا على آثارهما.

5. **طلب العلم بأدب**: وجد موسى عبدًا من عباد الله آتاه الله رحمةً وعلماً خاصًا. فوقف موسى موقف المتعلم المستأذن وقال: ﴿هل أتبعك على أن تعلمن مما علّمت رشداً﴾،... فطلب الرشد لا مجرد المعرفة.

6. **شرط الصبر**: أجابه الخضر: ﴿إنك لن تستطيع معي صبرًا﴾، لا انتقاصًا من موسى، بل بيانًا لطبيعة علمٍ لا يفهم من ظاهره. واشترط عليه شرطًا واحدًا: ألا يسأله عن شيء حتى يُحدث له منه ذكرًا؛ شرطًا تربويًا يعلم الصبر قبل السؤال.

7. **الامتحان الأول: السفينة**: ركبا سفينةً فأقدم الخضر على خرقها، فأنكر موسى الفعل بميزان الشريعة الظاهر. فذكره الخضر بالشرط، فاعتذر موسى وسكت، وبدأ الامتحان الحقيقي للعقل.

8. **الامتحان الثاني: الغلام**: قتل الخضر غلامًا، فاشتدّ إنكار موسى؛ لأن ظاهر الفعل يصطدم بحرمة النفس. وتكرّر التذكير والاعتذار، وازداد ثقل المشهد على موسى؛ إذ العقل لا يصبر على الفعل قبل ظهور حكمته.

9. **الامتحان الثالث: الجدار:** دخلا قريةً بخل أهلها بالطعام، ومع ذلك أقام الخضر جدارًا آيلاً للسقوط بلا أجر. فتعجب موسى لا إنكارًا، بل استغرابًا من ترك الأجر في موضع الحاجة.

10. **الفراق وكشف الحكمة:** قال الخضر: ﴿هذا فراق بيني وبينك﴾، فراق رحمة لا عقوبة. ثم كشف الحكمة: أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر، وكان وراءهم ملك يغتصب كل سفينة صالحة، فكان خرقها رحمةً بهم. وأما الغلام فلو عاش لأرهب أبويه طغيانًا وكفرًا، فأراد الله أن يبدلها خيرًا منه. وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين، تحته كنز لهما، وكان أبوهما صالحًا.

### 11. الخاتمة الجامعة

ختم الخضر بقوله: ﴿وما فعلته عن أمري﴾، أي: ليس اجتهدًا بشريًا، بل تنفيذًا لأمر الله بعلمٍ محيط بالعواقب. وهكذا انتهت الرحلة بوضع العقل في موضعه الصحيح: يعمل حيث أذن له، ويسلم حيث يبدأ الغيب، ويطمئن أن وراء كل قدرٍ حكمة، وإن خفيت. وأعلم الناس هو من عرف قدر علمه، وسلم لله فيما استأثر بعلمه.

### فتنة العلم وحدود العقل الآيات 60-66

(60) ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾

عزم موسى على السفر لطلب علمٍ ليس عنده، مهما طال الزمن: في الآية تقرير لفضيلة طلب الزيادة من العلم مع الصبر والمثابرة، ولفظة **لا أبرح** تفيد الإصرار لا العجلة، و**حُقُبًا** زمنٌ طويل غير محدد، تهويًا لشأن المدة في سبيل العلم. طالب العلم الحق لا يقف عند ما عنده، ولا يستنقل الطريق.

(61) ﴿فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنَهُمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا﴾

نسيان الحوت كان علامة اللقاء، فاتخذ الحوت سبيله **حيًا في البحر آيةً**. أن الحوت شقّ طريقًا في البحر **كالنفق**، فصار له أثرٌ واضح عجيب، كأن الماء انفرج له ولم يلتئم فورًا، فكان ذلك آية خارقة للعادة، لا مجرد سباحة طبيعية ابن عاشور: **وقوع النسيان هنا تمهيدٌ قدرّي، ليقع اللقاء في موضعه المقدر**، وفيه إشارة إلى أن أسباب العلم قد تُخفى لحكمة.

ليس كل نسيان تقصيرًا، فقد يكون تدبيرًا.

(62) ﴿فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِقَتَاهُ أَتَيْنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا﴾

التعب لم يظهر إلا بعد تجاوز العلامة، وفيه إشارة إلى أن الراحة في مواطن الطاعة، والتعب قد يكون علامة فوات المقصود.. التعب قد يكون تنبيهًا لا عقوبة.

(63) ﴿قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَانِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا﴾

لماذا نسب فتى موسى النسيان إلى الشيطان؟ وما الحكمة؟؟؟؟؟؟؟؟.

لم يكن في الآية تبرير، ولا تهرب من المسؤولية، بل تعليم لنا كيف نتكلم عن أقدار الله بلسان العبودية لا الاعتراض؛ ففقر بالتقصير البشري، ونذكر السبب الظاهر، ونحسن الأدب مع الله، مع إدراك أن الشيطان لا يملك خلق الأفعال، لكنه سبب في الإغفال والتشويش والصرف عن المهم، كما قال تعالى: ﴿أَسْتَحْوِذُ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنْسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ﴾، فنسبة النسيان إليه من باب ذكر السبب الظاهر لا نفي القضاء.

(64) ﴿ قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغُ فَارْتَدَّ عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا ﴾

رجعا ينتبعان الأثر حتى موضع الصخرة. طالب العلم إذا أخطأ الطريق رجع بلا كبير. الرجوع إلى الحق جزء من المنهج.

(65) ﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آمِنًا رَحِيمًا مِّنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴾

هو الخضر، آناه الله علمًا خاصًا... العلم الحقيقي مقرون بالعبودية: ... وصفه بالعبودية قبل العلم تشريفًا وتقديمًا للأدب، وعلمًا من لدنا يدل على علم وهبي متعلق بالعواقب لا بالظواهر.

ثبت الاسم فقط، وما عداه يُتوقف فيه ولا يُجزم به إلا بدليل اسم العبد الصالح هو الخضر، ثبت ذلك في الحديث الصحيح

(66) ﴿ قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَيْكَ عَلَىٰ أَنْ تُعَلِّمَ مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا ﴾

تواضع موسى في الطلب وحسن أدبه... أعلم الناس أحوجهم إلى التواضع. الاستفهام للاستئذان لا للإلزام، وطلب/الرشد لا مجرد المعرفة؛ أي العلم الذي يُصيب العاقبة. وفيه اعتراف ضماني بأن العلم درجات.

خلاصة هذا المقطع (66-60)

- طلب العلم يحتاج صبرًا وزمنًا
- النسيان قد يكون تدبيرًا
- التعب علامة فوات المقصود أحيانًا
- الرجوع إلى الحق أدب العلماء
- العلم الوهبي غير العلم الكسبي
- التواضع مفتاح الرشد

(67) ﴿ قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴾

إخبار من الخضر بحقيقة حال موسى مع هذا النوع من العلم؛ لأن أفعاله ستخالف ما تعودته من أحكام الشريعة الظاهرة.

النفي هنا ليس تقليلاً من قدر موسى، بل بيان لاختلاف موضوع العلم؛ فهذا علم بالمآلات لا يُدرك ابتداءً بالصبر البشري المعتاد... الصبر المطلوب هنا صبرٌ على خفاء الحكمة، لا على المشقة.

(68) ﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا﴾

العلة في عدم الصبر هي عدم الإحاطة بالخبر؛ فمن لم يعلم العاقبة أنكر الفعل. هذه الآية قاعدة منهجية كبرى: العقل لا يصبر على ما لا يحيط به علمًا، فالحكم فرع الإحاطة، ومن حُرِمَ الإحاطة استعجل الإنكار.

(69) ﴿قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا﴾

:وعد موسى بالصبر مقروناً بالمشيئة، اعترافاً بالعجز البشري: .أعظم الصبر ما استند إلى الاستعانة بالله: .تعليق الصبر بالمشيئة إقراراً بأن الصبر توفيقٌ من الله، لا مجرد قوة إرادة، وفي قوله وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا غاية الأدب في الاتباع.

(70) ﴿قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحَدِّثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾

شرطٌ صريح لنجاح الصحبة العلمية : السؤال قبل أوانه قد يكون حجاباً عن الفهم :.هذا الشرط تأديب لطالب العلم أن لا يستعجل السؤال قبل تمام البيان؛ فبعض العلوم لا تُفهم بالسؤال المبتور، بل بالصبر حتى يكتمل السياق.

(71) ﴿فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا فِي السَّوْبَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرَقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا﴾

:خرق السفينة ظاهره إفساد، وباطنه رحمة بالمساكين :... أول امتحان للعقل يكون فيما يخالف مألوفه لا أصوله :.بدأ الخضر بأخف الأفعال إنكاراً تمهيداً للتدرج في الامتحان، ومع ذلك أنكر موسى لأن ميزان الشريعة الظاهرة يوجب حفظ المال.

(72) ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَنَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾

تذكير بالشرط دون توبيخ. المعلم الحكيم يُكرّر القاعدة ولا يُهين المتعلم. إعادة الجملة نفسها دون زيادة يدل على الرفق في التعليم، وأن المقصود التذكير لا التعنيف.

(73) ﴿قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُزْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا﴾

التخفيف في الآية كمال الأدب؛ لم يُجادل موسى، ولم يُبرّر إنكاره، بل اعترف بالخطأ وطلب الرفق، وفيه أن العلم لا يُنال مع الكبر.

### خلاصة المقطع (67-73)

- اختلاف نوع العلم يوجب اختلاف الصبر
- الحكم يحتاج إحاطة لا ظناً
- الصبر توفيق لا قوة ذاتية
- الاستعجال في السؤال يُربك الفهم
- التعليم الراشد يقوم على الرفق
- التواضع شرط البقاء في طريق العلم

(74) ﴿فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقْتَلْتَنِي بَعْدَ مَا كُنْتُ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا﴾

هذا أشدّ ما وقع على موسى؛ لأن قتل النفس محرّم في شريعته، فكان إنكاره أغلظ من الأول :.وصف الإنكار **بُنكراً** (أشدّ من **إمراً**) يدل على تصاعد الامتحان؛ فالعقل هنا يواجه فعلاً يصادم أصلاً قطعياً من أصول الشريعة الظاهرة :.

(75) ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾

**زيادة لك** هنا (لم تكن في التذكير الأول) إشعار بأن الأمر بات أوضح، وأن الصبر المطلوب تجاوز الطاقة البشرية المعتادة.

(76) ﴿قَالَ إِنْ سَأَلْتَكَ عَنِ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي فَقَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا﴾

إقرار من موسى بتمام الحجة عليه إن عاد للسؤال .: في الآية كمال التواضع؛ إذ فوّض موسى حقّ الفراق للخضر، واعترف بأن العذر قد تمّ واستوفي.

(77) ﴿فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلُهَا فَأَبَوْا أَنْ يُصَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾

أهل القرية بخلاء، ومع ذلك أقام الخضر الجدار بلا مقابل .: إنكار موسى هنا أخفّ؛ ليس على الفعل ذاته، بل على ترك الأجر مع الحاجة. وفيه بقاء ميزان المعاملة البشرية حاضرًا .: آخر الامتحانات يأتي في صورة استغراب لا إنكارٍ صارخ.

(78) ﴿قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾

**إعلان الفراق مع وعد بالبيان**؛ رحمةً بموسى وتعليمًا للأمة .: الفراق ليس عقوبة، بل حدٌّ تربويّ؛ والتأويل هو كشف المآلات، لا تبرير الأفعال في ذاتها.

خلاصة المقطع (74-78)

- الامتحان يتصاعد بحسب خطورة الفعل
- العقل ينكر ما يصادم القطعيّات قبل البيان
- التواضع يكتمل بالاعتذار وتفويض الحكم
- آخر الإنكار يكون أخفّ تمهيدًا للفراق
- البيان المؤجّل رحمة لا قسوة

**كشف المآلات.....** الآيات 79-82

(79) ﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدَتْ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾

خرق السفينة كان رحمةً بالمساكين؛ لأن الملك كان يغتصب كل سفينة صالحة، فعيبها الظاهر حماها من الغصب. العيب هنا وسيلة حفظ لا مقصد إفساد، وفيه قاعدة عظيمة: يُتحمّل ضررٌ أخفّ لدفع ضررٍ أعظم، وهو من فقه المآلات لا من ظاهر الأحكام.

ما نراه نقصًا قد يكون وقاية، والرحمة قد تأتي في صورة ألمٍ عابر.

(80) ﴿وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾

بِحُشِينَا تعبير عن علمٍ بالعاقبة لا عن خوفٍ بشري؛ أي علمنا بمآل أمره. وفيه أن دفع الفتنة عن الدين مقدّم على إبقاء الحياة .. **حفظ الإيمان قد يقتضي قطع أسباب فتنةٍ مستقبلية لا تُرى في الحاضر.**

(81) ﴿فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِمَّا زَكَّاهُ وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾

وعدّ إلهيٍّ بالعوّض؛ بديلٌ أصلح دينًا وأقرب رحمةً.: **الانتقال من فأردت إلى فأردنا ثم إلى فأراد ربك (في الآية التالية) تنويع مقصود يُظهر مراتب الإسناد، ويؤكد أن التدبير كلّه راجع إلى إرادة الله العليا... ما يمنعه الله يعوّض عنه بخيرٍ لا يبلغه تصورنا.**

(82) ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِّنَ رَبِّكَ ۗ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ۗ ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾

في الآية امتداد أثر الصلاح إلى الذرية، وبيان أن الأعمال قد تُحفظ لأصحابها عبر أقدارٍ لا يشعرون بها. وخاتمة القصة بقوله **بوما فعلته عن أمري أصلّ جامع يردّ كل التدبير إلى أمر الله: ...الصلاح يُورث حفظًا، والحكمة قد تُدار خفيةً لأجل أناسٍ لم يولدوا بعد.**

جاء قوله تعالى **(تستطع)** قبل بيان الحكمة للدلالة على ثقل الصبر وشدة العجز عنه، فلما كُشفت الحكمة وزال الإشكال خُفّف اللفظ إلى **(تستطع)**، إشارةً إلى أن الصبر صار أيسر بعد الفهم؛ فخفّة اللفظ وافقت خفة الحال، وذلك من دقائق الإعجاز البياني في سورة الكهف

كما خُفّف اللفظ في **(تستطع)** بعد زوال الإشكال، **أدغم في (يهدي / يهدي)** لتمييز الكامل الفاعل عن العاجز التابع، باختلاف الصيغة الصوتية في القرآن مقصود لخدمة المعنى، لا لمجرد التنويع

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾

﴿فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ﴾ **(وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا)**

الخاتمة المنهجية للقصة

بهذا البيان ينكشف أن أفعال الخضر لم تكن اجتهادًا بشريًا ولا تصرفًا ذاتيًا، بل تنفيذًا لأمرٍ إلهيٍّ بعلمٍ محيط بالمآلات، وأن اعتراض موسى كان صادقًا بحسب ميزان الشريعة الظاهرة، غير أنه سبق البيان. فتعلّمنا القصة أن العقل يعمل حيث أذن له، ويتوقّف حيث يبدأ الغيب، وأن الحكم على الأقدار من ظواهرها فتننة، وأن الرشد في الصبر حتى ينكشف التأويل أو يُثاب التسليم.

خلاصة الآيات (79-82)

- الضرر الأخفّ قد يحفظ من الأعظم
- دفع فتنة الدين مقدّم على بقاء النعمة
- المنع قد يكون عين العطاء
- صلاح الآباء حفظٌ للأبناء
- كل التدبير مرده إلى أمر الله

**ماذا تعلمنا من قصه موسى?????**

## ذو القرنين

### تفسير الايات 83 - 98

لا يوجد نصٌ قطعي يحدّد زمن ذي القرنين بدقّة، والراجح عند كثير من المحقّقين: أنه سابق لموسى، دون الجزم بتاريخ محدّد. القرآن تعمد عدم التعيين. لا من يكون صاحبه ولا متى عاش. ولم يُكلّف المؤمن بمعرفته؛ إذ العبرة في **كيف يكون التمكين** لا في من يكون صاحبه.

والمقطوع به أن **ذو القرنين**: لم يكن نبياً، بل ملكاً عادلاً سخر سلطانه لإقامة الحقّ ودفع الفساد، ونسب القوة كلّها إلى الله فلم تغره الأسباب، وآتاه من الأسباب ما يبلغه المقاصد، وقدمه القرآن نموذجاً ربانياً في التمكين المنضبط بالإيمان والعدل، لا لغزاً تاريخياً ولا شخصية يُطلب تعيين اسمها أو زمنها

وسرد القرآن من خبره ثلاث رحلات كبرى **(إلى مغرب الشمس، ومطلعها، وما بين السدين)** تُبرز أمانة السلطان؛ فحكم بالعدل، وأحسن للمؤمن، ونصر الضعيف، دون بطشٍ أو استعلاء، وجعل العقوبة بقدر الجناية، وترك الحساب النهائي لله. وبلغت القصة ذروتها حين استعان به قومٌ من فساد يأجوج ومأجوج، فرفض الاتجار بالحماية، وقال كلمته الجامعة: **ما مكّني فيه ربّي خير، داعياً إلى المشاركة بالعمل لا بالمال، وبنى سدّاً محكماً، ثم ردّ الفضل إلى الله، وبيّن أن الإنجاز - مع عظمتها - رحمةٌ مؤقتة إلى وعد الله.**

وأجمع أهل السنّة والمفسّرون على أن **يأجوج ومأجوج** أمّتان حقيقتان من بني آدم، لا رموز ولا أساطير، حجزهما الله بالسدّ رحمةً بالناس، وأن خروجهم في آخر الزمان آيةٌ كبرى من آيات الساعة بعد أن يُجعل السدّ دكّاء. ولم يثبت في الشرع تحديد مكانهم اليوم أو تفصيل حياتهم، وما عدا النصوص الصحيحة ظنونٌ لا يُبنى عليها اعتقاد.

وتقرّر القصة ميزاناً عقدياً واضحاً: القوة ليست شرّاً في ذاتها، وإنما الشرّ في انفصالها عن الإيمان؛ والتمكين ابتلاءٌ لا غاية؛ وأعظم الحصون تقوى الله وردّ الفضل إليه. ولهذا ختمت بقول ذي القرنين: **هذا رحمةٌ من ربّي.**

#### خلاصة عقديّة:

أجمع أهل السنّة وأئمّة المذاهب الأربعة على أن يأجوج ومأجوج بشرٌ حقيقيون من ذرية آدم، موجودون الآن، محجوزون إلى وقت خروجهم. ولم يُنقل عن إمامٍ معتبر إنكار حقيقتهم أو تأويلهم بالرمز.

#### تنبيه مختصر:

خالف هذا الإجماع بعض المحدثين، مثل: **محمد شحرور، جمال البنا، حسن حنفي، نصر حامد أبو زيد، وبعض الطروحات عند عدنان إبراهيم؛ إذ مالوا إلى التأويل الرمزي أو التشكيك في الحقيقة الغيبية، وهو قولٌ شاذٌّ لا يُعتدّ به في العقيدة.**

- تتجلى فتنة القوّة اليوم في صورٍ متعدّدة تتجاوز السيف والسلطان إلى المال، والإعلام، والتقنية، والتحكّم بالمعلومة وتوجيه الرأي العام.
- القوّة في ذاتها ليست شرّاً، لكن خطرهما حين تنفصل عن العدل والمرجعية، فنُستعمل بلا وازع ولا محاسبة.
- وفي واقعنا كثيراً ما يُعري التمكينُ أصحابه فيظنونهم دليل رضا، فنُبرّر المظالم بشعارات براقّة، ويُقصى الضعفاء باسم المصلحة.
- تذكّرنا قصة ذي القرنين أن القوّة أمانة لا غاية، وأن رشدنا في نسب الفضل إلى الله، واستحضار زوالها، وإقامتها على العدل والرحمة. ولا خلاص من فتنها إلا بميزان يُقاس فيه القرار بمآلاته، وتُحفظ فيه حقوق الضعفاء، ويُسأل فيه دائماً: لمن تُستعمل القوّة، وبأي معيار؟

### تفسير الايات 83 – 98

(83) ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ ذِي الْقُرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا﴾

وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ ذِي الْقُرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا (83) إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا (84) فَاتَّبَعِ سَبَبًا (85) حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَا ذَا الْقُرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا (86) قَالَ أَمَا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نَكْرًا (87) وَأَمَا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءٌ الْحَسَنَىٰ وَسَنُفَعِلُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا (88) ثُمَّ أَنْبَغِ سَبَبًا (89) حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطَّلِعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سَبْرًا (90) كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا (91) ثُمَّ أَنْبَغِ سَبَبًا (92) حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا (93) قَالُوا يَا ذَا الْقُرْنَيْنِ إِنَّ يَا جُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا (94) قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا (95) أَتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ أَتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا (96) فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا (97) قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا (98) وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا (99) وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا (100) الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا (101)

سؤال المشركين اختباراً للنبي ﷺ، فأمره الله أن يذكر من خبره ما فيه العبرة. **نكراً أي خيراً مقصوداً للعظة**، لا استقصاءً تاريخياً؛ فالقرآن ينتقي من القصة ما يخدم الهداية. ليست العبرة في هوية ذي القرنين، بل في منهجه حين مُكِّن.

(84) ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾

: أعطاه الله سلطاناً واسعاً ووسائل تمكين.. التمكين ليس تشريعاً لذاته بل ابتلاء بالقدرة، وسبباً أي ما يتوسل به إلى المقاصد من علم وقوة وتنظيم: القوّة أمانة قبل أن تكون نعمة.

(85) ﴿فَاتَّبَعِ سَبَبًا﴾ : سلك الأسباب التي أعطيها. التوكل لا يُغني عن الأخذ بالأسباب. في الإيجاز تعليم أن النجاح بالعمل المنظم لا بالتمني.

(86) ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَا ذَا الْقُرْنَيْنِ إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَإِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ فِيهِمْ حُسْنًا﴾

حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ) أي انتهى ذو القرنين إلى أقصى جهةٍ غربيةٍ مأهولة، ﴿وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾ أي رآها - بحسب منظور العين - كأنها تغيب في ماءٍ داكنٍ ذي طين، وهو وصفٌ للمشهد لا لحقيقة الشمس، ﴿وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا﴾ أي أقوامًا يسكنون تلك الجهة، ﴿قُلْنَا يَا ذَا الْقُرْنَيْنِ إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَإِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ فِيهِمْ حُسْنًا﴾ أي آتاه الله سلطان الحكم بينهم، وابتلاءه بالاختيار بين إقامة العدل بالعقوبة على الظالم، أو الإحسان بالهداية والعدل مع الصالحين.

... تُبرز الآية بداية اختبار التمكين؛ فالقوة هنا أمانة، والسلطان ابتلاء، ومعياره العدل لا البطش، والإحسان لا الاستعلاء.

(87) ﴿قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا﴾...

عدلٌ في الحكم؛ عقوبة للظالم.. العدل يبدأ بضبط معيار العقوبة : ربط العقوبة بظلمٍ ثابت، لا بهوى الحاكم، ثم رد الأمر في الآخرة إلى الله.

(88) ﴿وَأَمَّا مَنْ أَمِنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءُ الْحُسْنَىٰ وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا﴾

إحسان في المكافأة وحسن المعاملة. الجمع بين الجزاء الحسن والتيسير في الأمر سياسة راشدة. الرحمة قرينة العدل في الحكم الصالح.

(89) ﴿ثُمَّ اتَّبَعَ سَبَبًا﴾ أي واصل ذو القرنين السير والعمل، سلوكًا لطريقٍ آخر من طرق التمكين التي آتاه الله إياها، بعد أن أدّى ما كُلِّفَ به في المرحلة السابقة؛ في دلالةٍ على أن التمكين الحق استمرارٌ في حمل الأمانة والعمل بالأسباب دون اغترارٍ بانجازٍ أو توقُّفٍ عند نجاح.

(90) ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطَّلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِنْرًا﴾

﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ﴾ أي وصل ذو القرنين إلى أقصى جهةٍ شرقيةٍ مأهولة في الأرض، ﴿وَجَدَهَا تَطَّلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ﴾ أي يواجهون شروق الشمس مباشرة، ﴿لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِنْرًا﴾ أي لا يملكون ما يقيهم حرّها: لا مساكن محكمة، ولا لباسًا واقئيًا، ولا وسائل حضارية تحجب عنهم الشمس .

صوّر الآية حال قوم يعيشون على الفطرة والبساطة، بلا عمران ولا أسباب دفع للأذى، وتُظهر شمول تمكين ذي القرنين واتساع رحلته، كما تُشير إلى اختلاف أحوال البشر في المعاش والحضارة. وليس في الآية مدحٌ ولا ذمٌ، بل وصفٌ لحالٍ من أحوال الخلق، مع تذكير بأن النعمة والحماية من الله، وأن تفاوت الأسباب ابتلاءً وحكمة.

(91) ﴿كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا﴾

علم الله محيط بأعماله. تنبيهه للحاكم أن رقابة الله فوق كل رقابة. ﴿وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا﴾ تقريرٌ لعقيدة عظيمة: أن التمكين، مهما بلغ، واقعٌ تحت علم الله وإحاطته، فلا قدرة بلا مراقبة، ولا سبب بلا تقدير.

(92) ﴿ثُمَّ اتَّبَعَ سَبَبًا﴾

رحلة ثالثة : تعدد الرحلات يبرز شمول التمكين مع ثبات المنهج.

المقصود من تكرار قوله تعالى ﴿ثُمَّ اتَّبَعَ سَبَبًا﴾ في قصة ذي القرنين أن تحرّكه لم يكن عشوائيًا ولا تقليديًا لطريقٍ جاهز، بل انتقالًا واعيًا ومدروسًا من وسيلةٍ إلى وسيلةٍ بحسب الهدف والمرحلة. الفعل اتَّبَعَ (بصيغة الإفعال) يدل على توظيف الأسباب وتسخيرها، أي أنه كان يملك أدوات متعددة، ويُحسن اختيار السبب المناسب في الوقت المناسب، ضمن منهجٍ ثابت من العدل والإيمان.

أما حين يتحدث القرآن عن الاقتداء والطاعة، فيستعمل فعل اتَّبَعَ المشدّد، مثل: ﴿فَاتَّبَعُوهُ﴾، لأن المقصود هناك السير خلف هدىٍ مُبينٍ لا إعمال وسائل أو إدارة تمكين.

### فالفرق الدقيق:

- أتبع سبباً → إعمال للأسباب، إدارة للتمكين، حركة واعية.
- اتبع → طاعة واقتداء وسير خلف منهج مُعطى.

(93) ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا﴾ (93)

(94) ﴿قَالُوا يَا ذَا الْقُرْنَيْنِ إِنَّ يَا جُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾

حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ) أي وصل ذو القرنين إلى موضع محصور بين حاجزين عظيمين طبيعيين (غالبًا جبلين)، (وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا) أي قوماً يقطنون تلك الجهة المعزولة، (لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا) أي لا يفهمون الكلام إلا بصعوبة، إمّا لاختلاف لغتهم أو لقلّة احتكاكهم بالناس وضعف وسائل التواصل لديهم. وهؤلاء هم الذين قالوا بعد ذلك: (قَالُوا يَا ذَا الْقُرْنَيْنِ)، إذ لجؤوا إليه مستعنيين، شاكون فساد يأجوج ومأجوج الذين يغيرون عليهم ويُفسدون في أرضهم. فالآية تُبرز بلوغ ذي القرنين أقصى صور التمكين الجغرافي والإنساني، حيث القوم ضعفاء في الوسيلة واللغة، لكنها في الوقت نفسه تمهّد لاختبار جديد في العدل والأمانة: كيف يُمارس التمكين مع المستضعفين؟ لا بالقهر ولا بالاستغلال، بل بالحماية، وبناء الحلّ، وإشراك الناس في العمل، وردّ الفضل كلّهُ إلى الله.

(95) ﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾

(قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ) أي إن ما آتاني الله من سلطان وقوة وقدره خَيْرٌ من أي أجر أو مال تعرضونه، فلا حاجة لي بمقابل دنوي. (فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ) أي شاركوني بالعمل والجهد والوسائل، لا بالمال فقط؛ فالحماية مسؤوليةٌ جماعية. (أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا) أي حاجزًا محكمًا يسدّ الطريق ويمنع الفساد.

### المعنى العام:

تُظهر الآية نزاهة التمكين عند ذي القرنين؛ لم يجعل الإصلاح تجارة، ولم ينسب الفضل لنفسه، بل رده إلى الله، وأقام الحلّ على التعاون، والأخذ بالأسباب، والعمل المشترك، لا على الاستغلال أو المنّة. وفيها درسٌ عظيم: القوة إذا اقترنت بالإيمان صارت رحمةً وعمراًناً.

(96) ﴿أَتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغَ عَلَيْهِ قَطْرًا﴾

ساوى بين الصدفين: أي رفع البناء وملاً الفراغ بالحديد حتى تساوى ارتفاع الردم مع جانبي الجبلين، فلم يبقَ منخفض ولا فجوة

تصف آية ﴿أَتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ... أُفْرِغَ عَلَيْهِ قَطْرًا﴾ عملية تصنيع معدني مركّب يمكن توصيفها علمياً بأنها تسخين ولحام حراري للحديد (*Hot Working / Forge Welding*) حتى يصل إلى حالة التوهج، ثم صبّ النحاس المذاب (*Molten Copper Casting*) فوقه. هذه العملية تؤدي إلى تكوين بنية معدنية مركّبة (*Metal Composite / Cladding*) تجمع بين صلابة الحديد ومقاومة النحاس للتآكل والأكسدة، وهي تقنية معروفة في علم المعادن الحديث لزيادة المتانة والعمر التشغيلي للمنشآت المعدنية.

والآية تُبرز حُسن الأخذ بالأسباب، والتخطيط المتقن، وتسخير العلم والقوة في دفع الفساد، مع اعتمادٍ على الله لا على المادة وحدها، فكان السدّ مثلاً للتمكين الراشد لا البطش.

(97) ﴿فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ...﴾

يظهره: لا تسلق من فوق. نقباً: لا خرق ولا نفاذ من خلال. فالسد ممنوع من فوق ومن تحت بقدره الله  
وتسخير الأسباب

(98) ﴿قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي ...﴾

نسب النجاح إلى الله، وتذكير بزواله عند وعد الله. قمة التواضع السياسي: كل إنجاز دنيوي مؤقت : .. أعظم  
التمكين ما صاحبه تواضع واستحضار للأخرة

الخلاصة المنهجية لقصة ذي القرنين

- التمكين ابتلاء لا تشریف
- العدل والرحمة جناح الحكم
- الأخذ بالأسباب شرط النجاح
- حماية الضعفاء واجب السلطة
- الإنجاز يُنسب إلى الله
- كل قوة دنيوية إلى زوال

ماذا تعلمنا من قصه ذو القرنين ????????

مشهد القيامة وانكشاف الحقائق

الآيات (99-110) ختام السورة

قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا (98)

وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجٌ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا (99) وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا (100)  
الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَن ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا (101) أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي  
أَوْلِيَاءَ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا (102) قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا (103) الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ  
يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا (104) أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا  
(105) ذَلِكَ جَزَاءُ هُم جَهَنَّمَ بِمَا كَفَرُوا وَتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوا (106) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ

الْفُرْدُوسِ نُزُلًا (107) خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا جَوْلًا (108) قُلْ لَوْ كَانَ النَّبِيُّ مِثْلًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَأَتَفَتِ الْبُحْرُ قَبْلَ أَنْ تُنْفَذَ  
كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جُنُودًا مِثْلَهُ مَدَدًا (109) قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ  
عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا (110)

﴿ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا ﴾

وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ أي عند انهدام السدّ وخروج يأجوج ومأجوج يختلط الناس ويضطربون اضطراب  
الموج، في فوضى عارمة وفساد عظيم.

الآية امتدادٌ طبيعي لما قبلها؛ إذ تنتقل القصة من التمكين ثم الردم فالرحمة المؤقتة إلى زوال تلك الرحمة وحدث الفوضى  
الكبرى ثم نهاية الدنيا والحساب، لتقرّر رسالة عقديّة واضحة: لا سدّ يدوم، ولا قوّة تحجز الشرّ إلى الأبد، ولا ملجأ إلا الله .  
وهذا من أعظم مواضع سورة الكهف في ربط التمكين الدنيوي بالآخرة، حتى لا يُفتن الناس بالقوّة ولا بالأسباب.

عد أن ختم القرآن قصة ذي القرنين ببيان أن السدّ رحمة مؤقتة تزول عند وعد الله، انتقل انتقالاً طبيعياً من  
نهاية التمكين الدنيوي إلى المصير الآخروي، لنلا يُفتن الإنسان بالقوّة أو الإنجاز. فجاء مشهد القيامة  
مباشرة: تُعرّض جهنم للكافرين عرضاً حقيقياً للتهديد والإنذار قبل الدخول، فيرون المصير رأي العين. ثم  
يبين سبب الهلاك: ليس عجز الحواس، بل عمى القلب عن الذكر؛ غطاءً تراكم بالإعراض حتى صار عدم  
السمع عادةً، كما في قوله تعالى ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾. ثم يُوبّخ الكافرون على سوء الظنّ بالله والشرك  
في الولاء؛ إذ لا تنفع أولياء باطلة ولا وسائط يوم الحساب. وبعدها يقبل القرآن الموازين بسؤالٍ صادم: من  
هم الأخسرون؟ فيكشف أن الخسارة الحقيقية قد تختبئ خلف كثرة العمل، حين يكون السعي بلا إيمان ولا  
إخلاص؛ ضلال في المنهج لا في الجهد، مع ظنّ الإحسان. لذلك حبطت أعمالهم، ولا وزن لها يوم القيامة،  
لأن الميزان بالقيمة لا بالحجم. ويُختم المشهد بتقرير العدل الإلهي: جهنم جزاء الكفر والاستهزاء بالآيات  
والرسل، جزاء من جنس العمل ومآلاً.

وهكذا يربط القرآن بين قصة التمكين في الدنيا والحساب في الآخرة: فلا بقاء لقوّة، ولا اعتبار لعمل بلا  
إيمان، ولا نجاة إلا بالذكر، والإخلاص، وصحة المنهج.

. (100) ﴿ وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا ﴾

(101) ﴿ الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنِ ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ﴾

:العمى هنا عن الذكر لا عن البصر. الغطاء سببه الإعراض المتراكم حتى صار عدم السمع عادةً.. الغفلة الطويلة تُنتج عمى  
دائمًا. الغطاء ليس حجاباً على العين، بل حالة قلبية تحيط بالإنسان فتمنعه من رؤية الذكر ومن القدرة على سماعه، فكان  
العمى هنا اختيارياً ناتجاً عن الإعراض لا نقصاً في الحواس. أربطها بآية: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾

(102) ﴿ أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا ﴾

(103) ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴾

(104) ﴿ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴾

(105) ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا تُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنًا ﴾

(106) ﴿ ذَٰلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمَ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُرُوفًا ﴾

(107) ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴾

(108) ﴿ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴾

تمام النعيم :. نفي طلب التحوّل دليل كمال الرضا.

(109) ﴿ قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ﴾

تصوير لسعة علم الله.. العلم الإلهي لا يُحاط :. تعظيم للغيب وتحديد لحدود العقل والمعرفة.

(110) ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾

شرطا القبول: العمل الصالح والإخلاص... . ختام جامع يردّ كل الفتن إلى ميزان واحد: القصد والمنهج.

:النجاة بشرطين لا ثالث لهما: الإخلاص والاتباع.

بعد فتنة الدين، والمال، والعلم، والقوّة، تعود السورة إلى الميزان الأخير:

ليس المهم كم عرفت، ولا كم ملكت، ولا كم مُكِنْت؛

بل لمن كان عمك؟ و على أي منهج سرت؟